

الرمزية الدينية للمسجد الأقصى ودوره في تحفيز المسلمين على تحرير بيت المقدس من الصليبيين عام 583هـ/1187م

نرجس كلدرو*

ملخص: يحتل بيت المقدس مركزاً متميزاً عند المسلمين وأهل الكتاب؛ فهو مكان استقرار للكثير من الأنبياء، أو عبور للكثيرين منهم، كما أنه حظي باهتمام كبير من قبل المسلمين فهو معراج النبي ﷺ إلى السماء، إضافة إلى وجود المسجد الأقصى. بما فيه من الجامع الأقصى وقبة الصخرة وغيرهما من الآثار الإسلامية. ونظراً لما حملته هذه المدينة من تلك الدلالات الرمزية العميقة، فقد تعرضت لتهديدات كثيرة عبر مراحل تاريخها، مما دفع بالمسلمين للدفاع عن مقدساتها التي تخص جميع الحضارات، وخاصة بعد تعرضها لهجمات الصليبيين الذين دنسوها، وعملوا على تغيير ملامحها، دون احترام قدسيته لدى جميع الديانات. تأتي أهمية هذه الدراسة من كونها ستلقي الضوء على هذه الأماكن المقدسة، وكيف تعامل المسلمون مع أصحاب الديانات المختلفة، وحفظوا لهم آثارهم المقدسة واحترموها، ثم المقارنة ما بينهم وبين الصليبيين، الذي اغتصبوا الأرض ولم يحترموا مقدسات هذه المدينة التي كانت مميزة لدى جميع الأديان، وفي نهاية البحث تم مناقشة كيف نجح المسلمون بقيادة صلاح الدين بتحرير هذه الأرض.

الكلمات المفتاحية: القدس، الصليبيين، المسجد الأقصى، قبة الصخرة، صلاح الدين.



The Religious Symbolism of Al-Aqsa Mosque and its role in motivating Muslims to liberate Bayt al-Maqdis from the Crusaders

ABSTRACT: Bayt al-Maqdis occupies a distinguished position amongst Muslims and the People of the Book, as it is the abode of prophets where many have settled or passed through. The most important position is its holiness to Muslims as it houses al-Aqsa Mosque (with its Dome of the Rock and al-Jami al-Aqsa), the second mosque on earth, and was the first Qiblah of Prophet Muhammad and the destination of his miraculous Night Journey and the site of his Ascension to the heavens. Al-Aqsa Mosque has deep symbolic indications of this holy city, which has been exposed to many threats along its history, prompting Muslims to defend its holy places especially after the Crusaders attacks who violated its sanctity and worked to change its features, without respecting its holiness to other religions. This paper focuses on these holy places and how Muslims dealt with the people of different religions, preserved and respected their sacred sites. Then it compares between Muslims and the Crusaders. Finally it concludes with the success of Muslims in liberating led by Salah al-Din and reinstating its sanctity.

KEYWORDS: Jerusalem, Crusades, Al-Aqsa Mosque, Dome of the Rock, Salah al-Din.

* أستاذ مساعد، قسم التاريخ، جامعة ماردين أرتقو، ماردين - تركيا، d.narjes99@gmail.com

مقدمة

تعتبر قضية بيت المقدس¹ من أهم القضايا التي شغلت اهتمام المسلمين عبر مر العصور؛ فهي منتهى الإسراء ومبتدأ معراج النبي إلى السماء، أثناء رحلته ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، إضافة إلى كونها أولى القبلتين وثاني المسجدين وأحد المساجد الثلاث التي تشد إليها الرحال، وارتبط اسمها بالعديد من الأنبياء؛ كما وكانت مركز لعبور جميع الحضارات، وهذا ما جعلها موضع اهتمام المسلمين، الذين عملوا على الحفاظ على قدسيتها والاهتمام بها على مر تاريخهم، منذ فتح عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي كان حريصاً على الاهتمام بالأماكن المقدسة فيها. واستكمالاً للعصور الإسلامية المتلاحقة التي حفظت لبيت المقدس مكانتها وهبتها، وجملت المسجد الأقصى وصخرته المشرفة بأهـى الحلـل، وأزهى النقوش، والتحف الفنية الرائعة تقديراً لرمزيتها وأهميتها في قلوب الجميع.

وتكمن أهمية الدراسة في أنها ستتطرق لأهمية بيت المقدس الدينية، حيث شهدت مراحل كثيرة من الصراع التاريخي على أرضها، وغزيت من قبل الكثيرين، ومن هؤلاء الغزاة كان الصليبيون الذين دنسوا مقدساتها، وحاولوا التغيير في معالمها، ومنذ أن وطقت أقدام الصليبيين الأرض المقدسة، لم تتوقف محاولات المسلمين من أجل إنقاذها وحمايتها من الصليبيين، وذلك عبر جيل مؤمن بهذه القضية وبأهميتها، فقد كانت في قلب كل المسلمين على اختلاف طوائفهم، واستمرت المحاولات ما يقرب المائة عام إلى أن استطاع صلاح الدين تطهير المسجد الأقصى من دنس الصليبيين، وقد عمل صلاح الدين على إعادة الهيبة للمسجد الأقصى وفي قلبه قبة الصخرة، وإعادةه لحالته الأصلية، بعد أن تعرض لتغييرات كبيرة أثرت في ملامحها. وتهدف الدراسة إلى التعرف على نظرة المسلمين والصليبيين للأماكن المقدسة وكيفية تعامل كل من الفريقين مع هذه المقدسات، وتسليط الضوء على جهود المسلمين في الاهتمام ببيت المقدس لدلالاتها الرمزية ومكانتها لدى جميع الحضارات، ومن ثم التطرق إلى جهود علماء المسلمين في تحفيز المسلمين على مواجهة الخطر الصليبي وإنقاذ بيت المقدس، حتى نجاح صلاح الدين في تحريرها.

أما عن منهج البحث فسيعتمد الباحث على المنهج الوصفي في سرد الأحداث التاريخية، إضافة إلى المنهج المقارن وذلك من خلال المقارنة بين المسلمين والصليبيين، ونظرة كل منهما للأماكن المقدسة، والمقارنة ما بين دخول الصليبيين القدس، وما فعلوه بالمدينة المقدسة وبالمسلمين، وبين دخول المسلمين إلى بيت المقدس بعد تحريرها وكيف تعاملوا مع الصليبيين.

أولاً: نظرة المسلمين والصليبيين إلى الأماكن المقدسة في مدينة بيت المقدس

تأتي أهمية بيت المقدس من كونها في قائمة المدن العالمية والدولية ذات التاريخ العريق من جهة، وذات المركز الديني الكبير من جهة أخرى، ووصلت تلك المدينة إلى أوج عظمتها في العصور الإسلامية، كما

وضعت رحلة الإسراء والمعراج المدينة المقدسة في وجدان الأمة الإسلامية قبل الفتح العمري لها، وأظهرت ما لهذه المدينة من فضل حتى كأن بوابة السماء لا تفتح للعروج إلا من قبل هذه المدينة المقدسة،² فقد كانت رحلة الإسراء والمعراج نقطة تحول لكل من العرب والمسلمين وبيت المقدس، وبداية التغيير الجذري في تاريخهما، حيث كانت رحلته للمدينة المقدسة، مرتبطة بفترة عصيبة مرَّ بها النبي ﷺ وهي وفاة عمه وزوجه خديجة، وفقدانه للسند المادي والمعنوي، ثم خذلانه من قبل أهل الطائف، فكانت الرحلة إلى أرض الأمل والأمان، وهذه الأرض ليست وفقاً على مجموعة معينة من الناس على أساس ديانتهم أو جنسهم، ولكنها مفتوحة للبشرية جمعاء، من دون تمييز، فهي أرض شمولية لمن يبحث عن الأمان والمأوى تحت سيادة المسلمين الذين يؤمنون بهذه الرؤية الشمولية لبيت المقدس.³

وفي العصر الراشدي عندما دخل المسلمون فاتحون إلى بيت المقدس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ طلب أهلها من أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، الذي كان يحاصرها آنذاك، قدوم عمر بن الخطاب بنفسه حتى يعقدوا الصلح معهم، فلى الخليفة عمر طلبهم، وقام بإعطاء عهد الأمان للمسيحيين، في السنة السادسة عشر للهجرة.⁴ وأعطى المسيحيين عهد أمان تضمن أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتهم، ألا تسكن ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من حدها ولا من صلبانهم، ولا شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم.⁵ وفي دخول الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بنفسه إلى مدينة إيلياء (بيت المقدس) دلالة على احترام المسلمين للأديان الأخرى، وذلك عندما توجه بنفسه إلى المدينة المقدسة باعتباره الحاكم الأعلى للأمة الإسلامية القوية آنذاك، إضافة إلى الحرية الدينية التي منحها الخليفة عمر لسائر طوائف المسيحيين. وقد أشار وليم الصوري إلى تسامح المسلمين الفاتحين مع أهل بيت المقدس حيث ذكر بأن المسلمين سمحوا لهم ترميم ما دمر من كنائس، وأن يؤدوا شعائرهم الدينية، كما أبقوا لهم أسقفهم (صفرونيوس)، وأذنوا لهم بممارسة الديانة المسيحية بلا تعد.⁶ وذكر المقرئ أن عمر بن الخطاب لما كان جالساً في صحن الكنيسة وحن وقت الصلاة، خرج منها وصلى خارج الكنيسة على الدرجة التي على بابها بمفرده، ثم جلس وقال للبترك: لو صليت داخل الكنيسة لأخذها المسلمون من بعدي، وقالوا: ههنا صلى عمر، وكتب كتاباً ألا يجتمع المسلمون بها للصلاة فيها، ولا يؤذنون عليها.⁷ وهنا نلاحظ مدى حرص الخليفة عمر على مقدسات المسيحيين والتزامه بالمحافظة عليها في عهده، وفي العهود الأخرى وذلك يدل على سماحة الإسلام وتقديره لخصوصية الآخرين ومقدساتهم. وبعد أن أتم الخليفة عمر رضي الله عنه عهوده، توجه إلى محراب داود عليه السلام (المسجد الأقصى)، وذلك ليلاً ثم صلى بالناس، ثم قام من مصلاه إلى الصخرة، فأزال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ما كان بها من

أقدار.⁸ وهذه مواقف جلييلة وعظيمة من مواقف أمير المؤمنين التي لا تحصى، والتي برهن فيها على أن الإسلام يحترم الأديان السابقة، ويجعل كل المقدسات محترمة، ولا يختصر منها شيئاً، بل وما كان مهملاً أحياء واعاده إلى أصله.

وإذا ما قارنا تلك الحرية والأمان الذي منح للمسيحيين في بيت المقدس في عهد عمر بن الخطاب، والذي يعتبر من المؤشرات الهامة لرؤية المسلمين للآخر، يدعوننا هذا الأمر للمقارنة بينهم وما فعله الصليبيون عند احتلالهم للقدس 1099م حيث قاموا بقتل المسلمين والتنكيل بهم. وذلك حسب رواية فوشيه الشارترى الذي يعتبر من كبار مؤرخيهم الذي ذكر أن كثيراً من المسلمين كانوا قد تسلقوا قمة قبة سليمان هارين، وقد أصابتهم السهام في مقتل، فسقطوا من فوق السقف، وتم ذبح حوالي 10 آلاف منهم في المسجد (المعبد)، ولو أنك كنت موجوداً هناك لغاصت قدمك حتى العقبين في دماء المذبوحين، إننا لم نترك أحداً منهم على قيد الحياة، لم ينج حتى النساء والأطفال.⁹ هذه المقارنة تثبت وحشية الصليبيين وعدم احترامهم للأماكن المقدسة التي احتتمى بها المسلمون طلباً للنجاة من ظلم واضطهاد الصليبيين، كما يدعوننا للمقارنة بين ما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع مسيحيي بيت المقدس، وسياسة التسامح والحرية الممنوحة لهم في ممارسة عباداتهم، ومع ما فعله الصليبيون مع المسلمين من قتل وتنكيل وتعذيب.

كما اندفع تانكرد وهو أحد قادة الحملة الصليبية الأولى داخل المسجد الأقصى (أو كما سموه معبد الرب)، واستولى على الكثير من الذهب والفضة والأحجار الكريمة. كما تلاشت فخامة وعظمة المسجد الأقصى بشكل كبير، حيث رفع تانكرد بيرقه على القبة وواصل أعماله التخريبية فأخذ يدمر القناديل الذهبية التي كانت تزين المسجد كما نهب كنوزه، وثوراته.¹⁰ وأخذ الصليبيون من عند الصخرة نيفاً وأربعين قنديلاً من فضة، كل قنديل وزنه ثلاثة آلاف وستمئة درهم، وأخذوا تنوراً من فضة وزنه أربعون رطلاً بالشامي، وأخذوا نيفاً وعشرين قنديلاً من الذهب، ومن الثياب وغيرها ما لا يحصى.¹¹ وهذا يوضح الاختلاف الكبير بين المسلمين والصليبيين في التعامل مع الأماكن المقدسة، ومع هذا الإرث الحضاري، فلم ينظر الصليبيون بإحلال وتقدير إلى هذه الدلالات الرمزية عند المسلمين، وحتى عند المسيحيين، فبيت المقدس رمز ديني يحتضن عدد من الشرائع ومنتسبها، والمسلمون هم ورثة هذه الأديان التوحيدية في أصلها، لذلك كانوا حريصين على حماية هذه المقدسات على عكس الغزاة الصليبيين.

مقارنة بين نظرة المسلمين للأماكن المقدسة في فلسطين، وبين نظرة الصليبيين

نظر المسلمون إلى الأماكن المقدسة في فلسطين نظرة تقديس وتبجيل وسعوا إلى الاهتمام بالأماكن الدينية والمحافظة عليها، وهذا ما أشار إليه فوشيه عندما تحدث عن قبة الصخرة، وأبدى إعجابه بفن العمارة

البديع، الذي عمل المسلمون على تشييده بأحسن تصميم، وأفخم تزيين، فقد ذكر "أنه في المدينة معبد الرب، وهو مستدير الشكل، وقد بني حيث سليمان قد شيد معبده الفخم في الزمن القديم، وعلى الرغم من أنه لا يمكن مقارنته من حيث الشكل بالمعبد السابق، فإن هذا المبنى معجزة في البناء وله مظهر في غاية الفخامة".¹² وكان المحاربين الفرنجة ينظرون إلى كل هذه الفخامة والأبهة الشرقية بانبهار، باعتبارها خرافة الشرق العجيب الذي أتوا إليه من أوروبا.¹³

إضافة إلى ذلك أشار فوشيه إلى الجامع الأقصى (ذو القبة الرصاصية) جنوب المسجد الأقصى في كتابه وأن جزء منه تعرض للهدم، كما تحدث عن مكان آخر يسمى معبد سليمان، وهو معبد كبير مدهش، وهذا المعبد لم نستطع بسبب فقرنا، المحافظة عليه بالحالة التي وجدناها عليه، حيث أن جزءاً منه كان مدمراً بالفعل، وذكر مترجم الكتاب أن بلدوين هدم سقفه المصنوع من الرصاص، وباعه.¹⁴ وأيضاً قام الصليبيون بالاستيلاء على معظم المباني والممتلكات التي وجدوها في المدينة سواء في ذلك ممتلكات المسلمين أو المسيحيين المنتمين إلى الكنيسة الشرقية فقد حولوا قبة الصخرة إلى كنيسة أسموها Templum Domini، وأما الجامع الأقصى القبلي فقد أسموه Palatium Salomonis، واتخذوا جانباً منه كنيسة، والجانب الآخر مسكناً لفرسان الهيكل، وأضافوا إليه جناحاً جديداً جعلوه مستودعاً لأسلحتهم، واتخذوا السرايب الكائنة تحت المسجد (والتي يسميها المقدسيون اليوم المصلى المرواني) إسطبلاً لخيولهم.¹⁵

نظرة الصليبيين لبيت المقدس ومزاعمهم للسيطرة عليه

بعد أن اعتنق الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الديانة المسيحية، تأثرت مدينة إيلياء (بيت المقدس)، لأنه أصدر مرسوماً عام 313م يعطي المسيحيين حرية العبادة في المدينة المقدسة، وفي جميع أماكن الإمبراطورية الرومانية، كما اهتمت الإمبراطورة هيلانة أم قسطنطين، والمطران مكاربيوس ببيت المقدس، خاصة الأماكن التي عاش فيها المسيح، فأصبح لبيت المقدس مكانة عظيمة منذ ذلك التاريخ، وبدأ الحجيج يتوافدون إليها من كل الأماكن، وكثرت الكنائس فيها.¹⁶

وتحت خمس قرون من حكم المسلمين زارها النصارى، فقد شهدت بيت المقدس ما قبل الحملات الصليبية، زيارات متكررة من قبل الرحالة الأوروبيين، حيث قاموا برحلات إلى الأماكن المتعلقة بذكرات المسيحية المبكرة، والتي تم ذكرها في الكتاب المقدس، ولا سيما العهد الجديد، وتعددت الدوافع التي دفعت بالأوروبيين إلى القدوم إلى فلسطين خلال تلك المرحلة منها الرغبة في الحج، وزيارة المواقع والأماكن التي ارتبطت بسيرة السيد المسيح عليه السلام، وترك الرحالة الأوروبيون مؤلفات هامة ترى تصوراتهم للمنطقة، وأهم معالمها المقدسة، ولا شك أن ذلك أفاد في تتبع التطور التاريخي للرحلة

الأوروبية إلى تلك البقاع.¹⁷ ومن الرحالة الأوروبيين الذين زاروا القدس في أواخر العصر العباسي برنارد الحكيم الذي تحدث عن أوضاع المسيحيين في القدس أثناء رحلته وكيف أن المسيحيين حافظوا على شريعة الله في كل من بيت المقدس ومصر، وإن المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس ومصر على تفاهم تام، حتى أنني إذا سافرت ونفق في الطريق جملي أو حماري وتركت أمتعتي مكانها، وذهبت لاكتراء دابة من البلدة المجاورة، عدت فوجدت كل شيء على حاله لم تمسه يد، فقانون الأمن العام في تلك الديار يقضي على كل مسافر بالليل أن يكون بيده وثيقة تبين هويته، فإذا عدمها زُجَّ في السجن حتى يحقق في أمره، ويثبت أنه ليس حاسوساً.¹⁸

ويلاحظ أن استمرار الحج إلى تلك البقاع المقدسة لدى العالم المسيحي، يعود إلى اعتقاد ساد الأوروبيين بضرورة أن تكون تلك المناطق التي شهدت ميلاد المسيح ومعجزاته، تحت السيادة المسيحية، وقد ساعد قدوم الصليبيين إلى المنطقة، هو حالة التشرذم السياسي، والتصارع المذهبي في المنطقة.¹⁹ وبدأت دعوات البابوية إلى تحريض العالم المسيحي على المسلمين، فقد عمل أوربان الثاني على إثارة مشاعر الغرب وعواطفهم ضد المسلمين حيث قال: "وبناء على ذلك فإني أطلب منكم، وبالأحرى فإن الله يطلب إليكم باعتباركم من أتباع المسيح، أن تنشروا هذا - أي الخطاب - في كل مكان لحث الناس من كل الطبقات، لم يد العون لهؤلاء المسيحيين، وأن تمحو ذلك الجنس الديء من أرض أخوانكم، وأن ذلك هو ما يأمر به المسيح".²⁰ هذا الكلام كان بمثابة إطلاق الشرارة الأولى لبدء الحملات الصليبية على المسلمين وكانت دعوة البابوية باسم المسيح على حد زعمهم من أجل حشد جماهير الغرب المسيحي على التوجه بمجموعات كبيرة لحرب المسلمين.

لقد كانت الحملة الصليبية مشروعاً كنسياً خالصاً إذ كانت البابوية تهدف من ورائه إلى فرض سيطرتها على المسيحيين في الشرق، وإهاء الشقاق بين كنيسة بيزنطة وروما وتوحيدهما تحت زعامة البابا، كذلك استخدمت البابوية المشروع الصليبي كأداة من أدوات السياسة الداخلية أثناء صراع الكنيسة مع القوى الداخلية في المجتمع الأوربي في القرن 11م.²¹ واستخدم البابا أوربان الثاني أكثر من وسيلة لإقناع الحضور بالتوجه إلى بيت المقدس لنجدة النصارى الشرقيين، ولحماية الحجاج المسيحيين الذين يعانون كما يصورهم البابا من الظلم ومن بطش الكفار - أي المسلمين -.²²

لكن لم يتعامل الصليبيون مع المسيحيين الشرقيين بطريقة جيدة، فقد كان الحكم الصليبي قاسياً منذ بداية فترة الوجود الصليبي، وكانت سنوات الغزو بمثابة فترة ألم وعذاب كبير على المسيحي الشرقيين الذين كانوا يتكلمون اللغة العربية، ويطلقون اللحن، ويلبسون الملابس ذات الطراز العربي، وهذا الأمر جعلهم ضحايا للحرب التي كانت تنشب بين المسلمين والصليبيين، وكانوا يتعرضون للسلب

والنهب. وقام الصليبيون بطرد الرهبان والأرمن والبيزنطيين والسريان والجورجيان من أديرتهم، وبعد استيلاء الصليبيين على بيت المقدس توقفت وتعطلت رحلات الحج التي كان يقوم بها الأقباط إلى الأرض المقدسة بسبب ما عرف من كراهية الصليبيين للأقباط.²³ كما لم يسلم اليهود من الفرنجة الصليبيين حيث جمع اليهود في كنيسهم وأحرقوها عليهم، إضافة إلى ذلك تسلموا المحراب وهدموا المشاهد، وقبر الخليل عليه السلام.²⁴

وهنا تظهر الصورة واضحة وجلية فيما يتعلق بنظرة الصليبيين للآخر المختلف عنه، سواء أكانوا مسلمين، أم مسيحيين شرقيين، حيث لم يسلم أحد من جور الصليبيين وعنفهم تجاه الآخرين. إضافة لذلك نظر الصليبيون إلى تلك المنطقة على أنها مصدر طمع وثرأ اقتصادي وتعويض عن الحالة الاقتصادية السيئة في الغرب، وذلك حين ذكر البابا في خطبته أن أرض كنعان تفيض لبناً وعسلاً.²⁵ وهذه المقولة تعطينا صورة واضحة عن نظرة الصليبيين إلى تلك المنطقة التي وجدوا فيها خلاصاً لأزماتهم ومشكلاتهم الاقتصادية، فكانت المطامع الاستعمارية هي المحرك لهم على دخول هذه الأراضي، ولم يكن اهتمامهم بالأماكن المقدسة غايتهم الأولى، ولكنهم استخدموا العامل الديني كذريعة لتجيش الجموع العظيمة من العالم للتوجه إلى بيت المقدس.

ثانياً: رحلة الإسراء والمعراج وربطها بتعزيز الشعور الديني عند المسلمين (علاقة الكعبة بالأقصى)

ترتبط الأماكن المقدسة بأهمية كبيرة عند المسلمين، وذلك لدلالاتها الروحية والمعنوية، لما تتمتع به من مكانة وذلك للرمزية التي تحملها في قلب كل مسلم، فبيت المقدس هو القبلة الأولى للمسلمين، منذ أن فرضت عليهم الصلاة في بداية البعثة المحمدية ومن ثم أوضحت صلوات خمس بعد ليلة الإسراء والمعراج، وظل بيت المقدس قبلتهم بعد هجرتهم إلى المدينة ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وهي منتهى الإسراء ومنطلق المعراج إلى السماء، وفيها أم الرسول ﷺ الأنبياء، وفيه دلالة على ختم الإسلام للنبوات، وشموله للرسالات السماوية السابقة، وبدء الإسراء من المسجد الحرام وانتهاءه للمسجد الأقصى هو ربط للمسجدين ببعضهما.²⁶ وهذا الربط عمق من حب المسلمين لهذين المكانين اللذان يستحقان التضحية لأجلهما. وذكر ابن الجوزي أن المسجد الأقصى هو أحد المساجد التي تشد الرحال إليه، حيث نقل حديثاً عن النبي ﷺ أنه قال لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام ومسجدي، ومسجد بيت المقدس،²⁷ وقد ثبت هذا في عدد من الأحاديث الصحيحة. بالإضافة إلى كونه ثاني مسجد وضع على الأرض من لدن آدم عليه السلام بعد الكعبة بأربعين عاماً. وفي هذا دلالة على أهمية هذين المكانين، وأهما من أهم أماكن العبادة لدى المسلمين كافة، وهذا الأمر عمق من شعور المسلمين بالانتماء إلى

هذا المكان المقدس، وحرصوا بشكل كبير على حمايته من أي عدوان يستهدفه، وهذا ما سلاحظه من خلال اجتماع المسلمين من كافة المناطق، وعلى اختلاف أعراقهم للتحرك بجدّة لبيت المقدس من العدوان الصليبي عليها، وذلك لما تمثله من رمزية كبيرة كونها أولى القبلتين، ومسرى النبي صلى الله عليه وسلم. ويوضح هذا الارتباط بين المكانين قول الأصفهاني الذي عبر عن فرحته العظيمة وسعادته عند تحرير بيت المقدس على يد صلاح الدين، الذي عدّه فتحاً بقوله: "وبشرت المسجد الحرام بخلاص المسجد الأقصى، وهنأت الحجر الأسود بالصخرة البيضاء، ومزل الوحي بمحل الإسراء، ومقر سيد المرسلين بمقر الرسل والأنبياء".²⁸

ثالثاً: دعوات العلماء المسلمين لإنقاذ المسجد الأقصى وصخرته من أيدي الصليبيين

شهدت بلاد الشام والجزيرة مرحلة قاسية من مراحل تاريخها، تمثل بالغزو الصليبي لهاتين المنطقتين المهمتين من العالم الإسلامي لتوسطهما ودورهما الكبير في المنطقة، وكان هذا دافعاً للعديد من العلماء والفقهاء لاستنهاض همم المسلمين، من زعماء، وعامة، للاستنفار للجهاد ونجدة المسلمين، وقد تركزت الجهود السياسية والعسكرية على محورين رئيسيين هما تربية الأمة إيمانياً وإعادة وحدة المسلمين ولم تشملهم وتجميع جهودهم، ومواجهة الصليبيين وضرب معاقلهم وصولاً إلى تحرير بيت المقدس.²⁹ وقد تزامن أول رد فعل تجاه الغزو الصليبي مع حصار الصليبيين لأنطاكية، في شعبان 491هـ/1097م، وبرز دور الفقيه السلمي الذي شهد وهو في أواخر عمره غزو الصليبيين للشام، فخصص دروسه في جامع بني أمية الكبير للحديث عن فضائل الجهاد، وحرص أهل الشام على مواجهة الاحتلال، كما ألف كتاباً في الجهاد في اثني عشر جزءاً، ويعتبر أول من افتتح هذا التوجه نحو هذه المؤلفات في بيان أهمية الجهاد وفضائله لدى العديد من المؤرخين.³⁰ ووضح السلمي في خطبته أن الهدف الأساسي للغزو الصليبي هو السيطرة على بيت المقدس، حيث قال: إن القدس مهاتر أمانهم فيها، كما وضح أن سبب الضعف في بلاد الشام هو أن الممالك متفرقة والقلوب غير متفقة.³¹ كما طالب السلمي جموع المسلمين بالجهاد والدفاع عن الدين، وطالبهم بنصرة أخوانهم، كما تعجب كل العجب من سلطان يهنأ بعيش، أو ينعم باستقرار، مع وجود هذه النازلة،³² وأن ذلك الغزو لم يكن هدفه الأرض، والعقيدة فقط، وإنما هدفه هو إزالتهم من سلطاتهم، وإخراجهم من البلاد التي تحت أيديهم.³³ وقدم السلمي تصوره المختصر عن الفرنجة، وأوضاع المسلمين، ووضع استراتيجية للتحرير تقوم على إعادة إحياء فريضة الجهاد على المسلمين حكاماً ومحكومين، ودعا إلى التنسيق والتعاون بين حكام مصر وبلاد الشام والجزيرة الفراتية، من خلال نبذ الفرقة والتحاسد، والصراع المذهبي، وأن حروب الفرنجة هجومية في الظاهر، دفاعية في حقيقتها لاسترداد ما سقط من المناطق في أيديهم.³⁴

وعندما استولى الفرنجة على بيت المقدس سنة 492هـ/1099م وقتلوا أعداداً كبيرة من المسلمين، ورد المستنفرون من بلاد الشام، يخرجون الناس بما جرى على المسلمين، وقام القاضي أبو سعد الهروي قاضي دمشق في الديوان ببغداد، وأورد كلاماً أبكى الحاضرين، فندب من الديوان من بمضي إلى العسكر يعرفهم حال المصيبة،³⁵ واستغاث العلماء بالناس، وذكروا مادهم المسلمين بالقدس من قتل وسي ونهب الأموال.³⁶ ونظم أبو المظفر الأبيوردي شعراً عبر فيه عن هول تلك المصيبة ومرارتها على المسلمين بقوله:

مزحنا دمانا بالدموع السواجم فلم يبق منا عرضة للمراحم
وشر سلاح المرء دمع يريقه إذا الحرب شبت نارها بالصوارم
وكيف تنام العيون ملء جفونها على هفوات أيقظت كل نائم.³⁷

لذلك أمر الخليفة العباسي المستظهر، أن يسير القاضي أبو محمد الدماغاني، وأبو بكر الشاشي، وأبو القاسم الزنجاني، وأبو الحسين بن سماك، إلى حلوان حيث يوجد السلطان السلجوقي بركياروق، الذي كان صاحب القيادة السياسية والعسكرية، حتى يساعد فقهاء دمشق في مطالبهم.³⁸ وأيضاً وصلت وفود من حلب وعلى رأسهم القاضي أبو الحسن بن الخشاب، لطلب النجدة من الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي، وإنقاذ حلب من السقوط بأيدي الصليبيين وضم الوفد عدداً من الفقهاء والزهاد والتجار ورجال الصوفية، وقد أحدثت أخبار وصول الوفد الحلبي ببغداد ضجة كبيرة في أوساط أهل بغداد واستغاثوا وأنزلوا الخطيب من على المنبر وبكوا مما لحق المسلمين من الإفرنج، وقتل الرجال وسي النساء والأطفال، وكانوا يطالبون بإرسال العساكر، والانتصار للإسلام من الفرنج، وكرروا ذلك الأمر في الجمعة الثانية وفعلوا مثل ذلك من البكاء والتعجب، وهنا طلب الخليفة المستظهر بالله، بالتأهب والمسير لجهاد الكفار،³⁹ فكان أول من وصل بعسكره لإنقاذ البلاد مودود صاحب الموصل.⁴⁰ وقد تبني مودود فكرة الجهاد، وتنبه إلى أهمية الوحدة، وسعى إلى تحقيقها، وأدرك واقع إمارة الرها الصليبية، وخطورتها على المسلمين، وضرورة القضاء عليها.⁴¹ كما توجه القاضي فخر الملك أبو علي بن عمار صاحب طرابلس الشام إلى بغداد سنة 501هـ، قاصداً باب السلطان محمد ومستنقراً الناس على الفرنج، طالباً بجدته وإمداده بالجنود والعساكر لإزاحتهم عن البلاد.⁴²

من خلال ما تقدم نجد تحركاً كبيراً للعلماء، من كافة مناطق بلاد الشام يوجهون دعواتهم للخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية لتخليصهم من الغزو الصليبي الذي استهدف الأماكن المقدسة، وقد نجحت هذه الدعوات في تحرك القادة المسلمين للجهاد لنصرة المسلمين. وكان للقدس المكانة الكبرى في مدن الشام، وهي أحد أهم المضامين التي حاول العلماء أن يركزوا عليها تذكيراً بمكانتها، فقد ألف ابن عساكر كتاب فضائل بيت المقدس، وفضائل المدن الإسلامية وفضائل عسقلان.⁴³ إضافة إلى ذلك فلقد

أدرك عماد الدين الأصفهاني وهو يقدم لتاريخه "الفتح القسي في الفتح القدسي" مكانة هذه السيرة، وأهمية فتح بيت المقدس، وشبهها بالهجرة النبوية التي أرخ بها المسلمون، واعتبرها هجرة ثانية لأنها هجرة الإسلام إلى بيت المقدس، وأرخ بالفتح القدسي ليحفظ لنا تاريخاً مجيداً.⁴⁴

رابعاً: محاولات تحرير الأماكن المقدسة في فلسطين من أيدي الصليبيين قبل الفتح الصلاحي

كان الطريق طويلاً إلى حطين وبيت المقدس، وكان السير بها حافلاً بالمشقة، بعد أن نجح الغزو الفرنجي في احتلال بيت المقدس، إلى أن استطاع صلاح الدين تحريرها، بعد تسعين عاماً وطهرها من رجس الاحتلال.⁴⁵ وقد تعددت المحاولات لإنقاذ المسلمين في الشام والجزيرة الفراتية من نير الاحتلال الفرنجي وبرزت أسماء مشرفة في تاريخ الحروب الصليبية، كما برز فيها أسماء عدة مدن تولت مهمة الدفاع عن المسلمين، وسنستعرض لأشهر الشخصيات الإسلامية التي حاربت الصليبيين، فقد مرت حروب التحرير بأربعة مراحل، ارتبطت كل منها باسم مدينة تحملت عبء المسؤولية لقيادة عملية التحرير، وهذه المراحل هي مرحلة الموصل، مرحلة حلب، مرحلة دمشق، مرحلة القاهرة. وقد سبقها ما قام به الأرتاقة من عدد من المحاولات لاستعادة الأرض المقدسة، كجهاد سقمان بن أرتق ضد الصليبيين وهزيمتهم في معركة حران عام 497هـ/1004م، وأخيه إيلغازي بن أرتق في عدد من المعارك كـ "ساحة الدم" سنة 513هـ/1119م، وحسام الدين تيمورتاش ومحاولته لاستعادة المدينة المقدسة، ووصوله إلى مشارف المدينة 547هـ/1152م وهزيمته أمام الصليبيين.⁴⁶ حيث كانت القدس أحد الأهداف الرئيسية التي تشغل بال الأرتاقة، وذلك لما تمثله من قداسة، وكذلك لأهميتها الإستراتيجية على سواحل البحر الأبيض المتوسط. فلم تكن علاقة الأرتاقة فقط ذات بعد ديني، بل كانت أيضاً تمثل جوهر صراع سياسي وإستراتيجي وحضاري.⁴⁷

كما كان للزنكيين أكبر الأثر في الإعداد لتحرير بيت المقدس، حيث سطع في الموصل نجم عماد الدين زنكي، وعرف بأنه كان جباراً عظيماً ذا هبة وسطوة،⁴⁸ كما كان عسكرياً من الطراز النادر، وكان عليه حتى يحقق النجاح ضد الصليبيين، أن يوحد أجزاء الأمة الإسلامية الممزقة سياسياً، وكانت خطته في الفتح أولاً إزالة إمارة الرها، ثم أنطاكية، حتى تسد الثغرة بين أعالي الرافدين وشمالي بلاد الشام.⁴⁹ وقد اعتبر المسلمون فتح عماد الدين زنكي للرها، بداية لفتح بيت المقدس، وذلك من خلال التأكيد أنها هي المحور الأساسي للفتح، وذلك من خلال ما ألقاه ابن منير الطرابلسي في مخاطبة عماد الدين زنكي بعد فتحه للرها 539هـ/1144م:

كل يوم مر من أيامه فهو عيد عائد للمسلمين
وغداً يلقي على القدس لها كل كل يدرسها درس الدارين.⁵⁰

وبعد مقتل عماد الدين زنكي في 5 ربيع الآخر 541هـ / 26 سبتمبر 1146م، وهو يحاصر قلعة جعبر، أخذ ولده نور الدين محمود خاتمه، وسار إلى حلب وملكها،⁵¹ لتبدأ مرحلة جديدة وهي مرحلة حلب، وهي المرحلة الثانية للتحرير. وقد تميز عن أبيه بتقواه وزهده، وكان يعتقد أن الله أو كل إليه مهمة اقتلاع الفرنجة من بلاد المسلمين.⁵² كما وصف بأنه حامل رايتي العدل والجهاد.⁵³ وقد استطاع بعد سلسلة طويلة من النضال أن يحقق إنجاز مهم كان له الدور الأكبر في حركة الجهاد ضد الصليبيين وتحرير بيت المقدس، حيث استطاع ضم دمشق، بعد أن بذل أهلها له الطاعة، وإقامة الخطبة له على منبر دمشق بعد الخليفة والسلطان، وكذا السكة. وقد قال القيسراني عن هذا النصر وربطه بفتح بيت المقدس (إلياء):

وقد علم الأعداء مذبت جانحاً إلى السلم ما تنوي بذاك وما تنحو
إذا ما دمشق سلمتك عنانها تيقن من في إيليا أنه الذبح.⁵⁴

وبتحول نور الدين من حلب إلى دمشق انتهت المرحلة الثانية، وتحولت مدينة دمشق من الموقف السلبي تجاه الصليبيين إلى وضع إيجابي تقود به حرب الاسترداد وبشكل حاسم. فمن دمشق خاض نور الدين عدة معارك ضد الصليبيين،⁵⁵ وكان الصليبيون لا يريدون أن يملك نور الدين دمشق، فيقوى بها عليهم، ولا يطيقونه، ولكنه تمكن من فتحها سنة 549هـ / 1154م.⁵⁶ وبذلك ألقى الإسلام جراحه في دمشق، وثبت أوتاده، وقد خافه الفرنج كافة، وعلموا أنه لن يقعد عنهم وعن بلادهم.⁵⁷ وهذا يعطينا صورة عن صدق نوايا القادة المسلمين في تحرير بيت المقدس، وأن الوصول إليها كان تنويجاً لجهود أعداد كبيرة من المسلمين قادة وجنوداً. ولكن هذا التحرير لا يتم إلا إذا كانت الأمة المسلمة موحدة؛ وتوحيد دمشق مع حلب والجزيرة، ثم توحيد الشام مع مصر سيكون له دوراً إيجابياً في نهاية الصليبيين في الأرض المقدسة. ومما يدل على صدق نوايا نور الدين زنكي وجهده العظيم لتحرير بيت المقدس، وأن هذه الرؤية للتحرير كانت منطلقاً أساسياً في حياته، عمل لها وكان مدركاً بالفتح حتى أنه عمل بحلب منبراً، وكان قد أمر الصناع في تحسينه وإتقانه لينصب بالبيت المقدس. لذلك فإن صلاح الدين بعد فتحه لبيت المقدس أمر بإحضاره من حلب ليوضع في المسجد الأقصى، وكانت المدة بين صنعه ووضعه في المسجد ما يزيد على عشرين سنة، وكان هذا من كرامات نور الدين زنكي.⁵⁸

وبعد ما وحد نور الدين الشام والجزيرة نظر أمامه فوجد مصر بطاقتها الهائلة ومواردها الكبيرة الجبارة، وكان الحكم في مصر في حالة ضعف وتمزق، فتوجه بأنظاره إلى مصر كي ينقذها من فوضاها، وحتى يدخل إليها الروح الجديدة التي حلت بالشام، وخاصة أن الصليبيين بدأوا بالتطلع إلى مصر مستغلين ضعفها، لكن نور الدين كان لهم بالمرصاد، فسارع إلى التدخل بشؤون مصر،⁵⁹ إلى أن استطاع في سنة

567هـ / 1171م من إنهاء الخلافة الفاطمية في مصر، بفضل جهود صلاح الدين، الذي ثبت أقدامه في مصر، ومن ثم دعي للخليفة العباسي المستضيء بأمر الله، فلم يتحرك لذلك مخالف ولا منكر.⁶⁰ وكان توحيد مصر مع الشام نقطة الانطلاق لاستعادة بيت المقدس، والتي حصد ثمارها صلاح الدين الأيوبي فكانت هذه الثمرة نتيجة جهود من سبقه من عظماء قادة المسلمين. وقد كتب القاضي الفاضل إلى الخلافة العباسية رسالة التبشير بالنصر حيث قال: "وصارت البلاد بل الدنيا حراماً حراماً، وأضحى الدين واحداً بعد أن كان أدياناً، وأهل الضلال مزقوا كل ممزق، وقطع دابرهم".⁶¹

خامساً: تحرير صلاح الدين لبيت المقدس ودوره في تطهير الأماكن المقدسة من دنس الصليبيين
يعتبر فتح بيت المقدس تنويجاً لجهود كبار القادة المسلمين الذين بذلوا محاولات عظيمة لتحريرها من الصليبيين. كما تعتبر معركة حطين 583هـ / 1187م، بوابة الفتح والانتصار على الصليبيين، ومن ثم التوجه إلى بيت المقدس. وقد صور الأصفهاني حال بيت المقدس قبل فتح صلاح الدين؛ بأنه مكث في يد الكفر إحدى وتسعين عاماً، ودامت همم الملوك دونه متوسنة، كما نوه على أن فتح الأرض المقدسة على يد صلاح الدين كان من أهم أعمال الأيوبيين حيث قال: "فما ادخر الله فضيلة فتحه إلا لآل أيوب ليجمع لهم بالقبول القلوب وخص به عصر الإمام الناصر لدين الله ليفضله على الأعصار ولتفخر به مصر وعساكرها على سائر الأمصار".⁶² وفي هذا دلالة على أهمية بيت المقدس لدى كافة المسلمين، وكيف كان الملوك في هم وحزن لوجوده بيد الصليبيين، وأن أي نصر دون تحريره لا يحمل أي معنى، لذلك كان نصر صلاح الدين من أعظم الانتصارات، التي نال شرف تطهيرها صلاح الدين بعد أن توج جهود من سبقه من الحكام المسلمين الذين مهدوا الأرضية له حتى يحصد الثمر.

وقد انشغل صلاح الدين بتحقيق هدفين أساسيين أولهما توحيد مصر والشام والجزيرة، وثانيهما جهاد الفرنج.⁶³ ولبيت المقدس رمزية عظيمة لدى المسلمين حيث نوه لهذا الأصفهاني حين قال: "وكيف لا يهتم بافتتاح البيت المقدس الأقوى، والمسجد الأقصى، وهو مقام الأنبياء، ومعبد الأتقياء، وفيها الصخرة ومنها منهاج المعراج، وفيها كرسي سليمان، ومحراب داوود، وهي أولى القبلتين".⁶⁴ وهذه المؤشرات التي ذكرها الأصفهاني تعطينا ملامحاً واضحة على أن الأرض المقدسة لها أثراً بالغاً في نفس كل مسلم، فكل بقعة في أرضها تستحق بذل الغالي والرخيص لأجل إنقاذها وحمايتها، لما تحويه من مقدسات إسلامية هم المسلمون لاحتضانها آثاراً تخص جميع الأنبياء.

وعند محاصرة بيت المقدس، حاول الصليبيون الدفاع عنها، وكانوا حوالي ستين ألف مقاتل عدا النساء والصبيان، وكان يرأسهم باليان دي إيبالين مقدم الإفرنج ورئيسها العسكري، وكان صلاح الدين قد أرسل إليهم بتسليمها وأنه لم يأت لتدنيس قداستها بسفك الدماء.⁶⁵ ثم ما لبث أن طلب أهلها

الأمان من صلاح الدين، وإن رفض ذلك فإنهم سيخربون المسجد الأقصى وصخرته، وغيرهما من المواضع، ثم يقتلون من عندهم من أسرى المسلمين، وهم خمسة آلاف أسير، فاستشار صلاح الدين أصحابه، فأجمعوا على إجابتهم على الأمان،⁶⁶ وتسلمها على شرط العنوة، فكان على أهلها دفع فدية محددة لإنقاذ أنفسهم من الرق.⁶⁷

وعندما دخل صلاح الدين إلى بيت المقدس، لم يعامل أعداءه الصليبيين. بمثل ما فعلوا، فلم يتم بمجازر كما فعلوا، بل أمنهم على أنفسهم. وقام بالعديد من الإجراءات منها أنه أحلى الصليبيين المحتلين بعد دفع الفدية وعفا هو عن كثيرين ودفع الفدية عنهم،⁶⁸ كما وسمح للنصارى الشرقيين بالإقامة ويؤخذ منهم الجزية، وأقر بأيديهم كنيسة القمامة (القيامة)، وعينوا أماكن يزورونها. وسلم الفرنجة البلد للمسلمين، وكان بالقدس البطريرك الأكبر، فهم المسلمون بمنعه، فمنعهم السلطان، وقال الوفاء خير، كما كان بالقدس ملك الرملة، فأدى عن نفسه ثمانية عشر ألف درهم.⁶⁹ وعمل الصليبيون على إفراغ الكنائس من الأشياء الثمينة " من الذهب والفضة والحريير والأواني والقناديل " ليأخذوها معهم، وكان مجموع هذه النفائس حوالي 200 ألف دينار، سمح لهم صلاح الدين بإخراجها، رغم أن الأمان كان على أموالهم، لا أموال الكنائس، لكنه عمل تأمينهم حتى لا ينسب للمسلمين الغدر⁷⁰. وهذا كرم كبير من قبل صلاح الدين الذي لم ينظر إلى الماضي، عندما ارتكب الصليبيون المجازر بحق المسلمين، وعندما هبوا كنوز المسجد الأقصى ونفائسه، وهبوا خيراته، فكان الإحسان والعفو سمة من سمات المسلمين.

وهكذا تم الفتح وخطب القاضي محيي الدين بن زكي خطبة بليغة، وذلك في الجمعة الثانية من فتح بيت المقدس 583هـ/ 1187م، ذكر فيها شرف البيت المقدس وفضائله، والمسجد الأقصى من أول تأسيسه حتى تطهيره، وكيف نصر الله أنصاره، وطهره من أدناس الشرك،⁷¹ ولا سيما الصليبان وحوانيت الخمر، وبقتل الأبرياء وسرقة محتويات البيت المقدس، مثلما تفعل العصابات الصهيونية حديثاً، بما يناهق الشرائع السماوية والأعراف الإنسانية، وقد جاهد الفاتحون على تحرير بيت المقدس من أيدي الصليبيين، الذين دنسوا الأرض المقدسة بكفرهم وظلمهم.⁷²

أما عن أهم أعمال صلاح الدين الأيوبي المتعلقة بالمسجد الأقصى فإنه:

- أمر بإعادة الأبنية إلى حالها القدام، وذلك لأن الداوية بنوا غربي الجامع الأقصى القبلي أبنية ليسكنوها، وأدخلوا بعض الجامع في أبنيتهم.⁷³ فعندما طهر مقر فرسان المعبد من باحة المسجد الأقصى أعاده إلى طبيعته الأصلية.⁷⁴
- ولما تسلم السلطان صلاح الدين القدس أمر بإظهار المحراب (في الجامع الأقصى) وكان الداوية قد بنوا في وجهه جداراً وتركوه للغلة وتخزين الطعام وقبل كانوا قد اتخذوه مستراحاً (مرحاضاً) عدواً

وبغيا. ⁷⁵ كما حولوا جزء من الجامع إلى مقر ملكي، والتسوية الشرقية في المسجد الأقصى إلى اصطبل لخيولهم. ⁷⁶

- كما صعد المسلمون إلى رأس قبة الصخرة، فرموا الصليب المذهب، وأزالوا ما عندها من المنكرات، وضح المسلمون ضجة عظيمة لم يسمع بمثناها، ودخل السلطان الصخرة وغسلها بماء الورد وهو يبكي ومحا الصور عنها، وكسر الصلبان، وحشي التصاوير من قبة الصخرة وعلقوا بها القناديل وطهروه وبسطوه. ⁷⁷ وذلك بعد أن حول الصليبيون قبة الصخرة إلى كنيسة، وزينوها بالصور والتماثيل. ⁷⁸ وأمر صلاح الدين الفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري أن يعمل حول الصخرة المشرفة شبابيك من حديد، ورتب لها إماماً، ووقف عليه أرزاقاً، وكذلك على إمام محراب الجامع الأقصى. ⁷⁹
- وبعد أن أدى صلاة الجمعة تقدم بعمارة جميع المسجد الأقصى واستنفاد الوسع في تحسينه وترصيفه، وتدقيق نقوشه، فأحضروا الرخام الذي لا يوجد مثله، ومن الفص المذهب القسطنطيني. وكان الفرنج فرشوا الرخام فوق الصخرة وغيبوها فأمر بكشفها، وكان سبب تغطيتها بالفرش أن القسيسين باعوا كثيراً منها للفرنج الواردين إليهم من داخل البحر للزيارة، فكانوا يشترونه بوزنه ذهباً رجاء بركتها. ⁸⁰
- إضافة إلى ما تقدم ذكره فقد ذكر ابن كثير أن صلاح الدين ترك كنيسة القيامة بأيديهم، وتركها على حالتها تأسيساً بعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ⁸¹ رغم أنه كان بإمكانه تحويلها لمسجد أو هدمها. ⁸² وهذا يوضح سياسة المسلمين عامة حكماً ومحكومين بإعطاء الحرية الدينية للغير، واحترام المقدسات الدينية وإبقائها بيد أصحابها، رغم أن الصليبيين لم يتقيدوا بهذه الأخلاق السمحة التي تميز بها المسلمين، وذلك من خلال ما ذكرناه سابقاً.

الخاتمة

مما تقدم يتبين لنا أهمية المسجد الأقصى وصخرته المقدسة عند المسلمين والاهتمام البالغ الذي أولوه لحماية هذه المدينة وحفظها لأنها لا تختص بجنس معين، أو طائفة معينة بل إنها ملك للأمة جميعها، والمسلمون هم الأولى بحمايتها لأنهم السياج الحامي لأي خطر، ولأنهم أهل التسامح والإحسان مع أصحاب الديانات الأخرى، وقد حرص المسلمون على احترام الأماكن الدينية عند أصحاب هذه الديانات، كما احترمو عباداتهم، وحفظوا مقدساتهم، على الرغم من قيام الصليبيين بتدنيس وإهانة حرمة الأماكن المقدسة عند المسلمين، وعدم مراعاتهم حرمتها وهم الذين أعطوا الحرية الدينية للعناصر السكانية المختلفة الموجودة داخل حدود أراضيهم.

كما تميز العدوان الصليبي بشدته على العالم الإسلامي عامة، وعلى بلاد الشام وبيت المقدس خاصة، لذلك بذل العلماء المسلمين جهودهم لاستنهاض الأمة للتحرك وإنقاذ المسلمين من هؤلاء الغزاة

المستبدين الذين استباحوا بلاد المسلمين قتلاً وتشريداً وإذلاً. كما نلاحظ حرص القادة المسلمين على تحرير بيت المقدس والتي كانت من أعظم طموحاتهم لما تحملها من رمزية في قلب كل مسلم مؤمن بقضيته، لذلك نجد أنهما كانت المحور والعامل الرئيس في تحركهم لإنقاذها، ولكن هذا النصر لم يتحقق إلا بعد توحيد بلاد المسلمين وتخليصها من التشتت والتنازع. وقد استطاع صلاح الدين أن يقطف ثمار الوحدة وأن يحقق الشهرة العظيمة التي خلدت اسمه حتى اليوم وذلك بتحقيقه الانتصار على الصليبيين وتحرير بيت المقدس الذي كان ثمرة جهود من سبقه من الرجال المؤمنين الصادقين بأهمية بيت المقدس وعمق تجذره في قلوبهم.

الهوامش

- 1 استخدمت كلمة بيت المقدس لدلالاتها وعمقها لدى المسلمين فهي مصطلح نبوي، أما اسم القدس فقد ظهر لأول مرة زمن الخليفة المأمون لاسيما عندما زار بيت المقدس في عام 216هـ/831م وأمر بترسيم قبة الصخرة المشرفة بالمسجد الأقصى، ويبدو أن هذا الاستبدال للاسم جاء ضمن سيطرة وهيمية فكر المعتزلة على مفاصل الدولة، وتم تمرير هذا المصطلح النبوي بيت المقدس بالقدس دون اعتراض من أحد وأصبح الاسم الشائع بعد ذلك. (عبد الفتاح محمد العويسي، نظريات ومآذج بيت المقدس لتفسير الأحداث المعاصرة وتوجيهها وصناعة التاريخ المستقبلي، ط2، اسطنبول: دار الأصول العلمية 2020م، ص156-157).
- 2 رمضان إسحق الزيان، روايات العهدة العمرية "دراسة توثيقية"، مجلة الجامعة الإسلامية، غزة، يونيو، 2006م، المجلد 14، العدد 2، ص180.
- 3 عبد الفتاح العويسي، نظريات ومآذج بيت المقدس، ص309-312.
- 4 ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: بخري سعيد، القاهرة: المكتبة التوفيقية، د.ت، ج2، ص332.
- 5 الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، مصر: دار المعارف، ج3، ص609؛ عزت محمود فارس، قراءة في العهدة العمرية، مجلة جامعة دمشق، المجلد 26، العدد الأول والثاني، 2010م، ص208.
- 6 حسن حبشي (ترجمة)، الحروب الصليبية، القاهرة: مؤسسة الأهرام، 1998م، ج1، ص65-66.
- 7 المقرئ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار "المعروف بالخطط المقرئية"، بيروت: دار الكتب العلمية، ج4، ص408.
- 8 الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ص611؛ ابن كثير، البداية والنهاية، القاهرة: المكتبة التوفيقية، ج5، ص106-107.
- 9 فوشيه الشارتر، الاستيطان الصليبي في فلسطين تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة قاسم عبده قاسم، ط1، القاهرة: دار الشروق، 2001م، ص136.
- 10 يوشع براور؛ الاستيطان الصليبي، ص137، قاسم عبده قاسم، الحملة الصليبية الأولى "نصوص ووثائق تاريخية"، ط1، القاهرة: عين للدراسات والبحوث، 2000م، ص256.
- 11 ابن الجوزي، فضائل القدس، تحقيق: جبرائيل سليمان جيور، ط2، بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1980م ص125.
- 12 فوشيه الشارتر، الاستيطان الصليبي في فلسطين، ص132.
- 13 براور يوشع، الاستيطان الصليبي، ص137.
- 14 فوشيه الشارتر، الاستيطان الصليبي في فلسطين، ص134.
- 15 عارف العارف، تاريخ قبة الصخرة والمسجد الأقصى المبارك ولمحة عن تاريخ القدس، القدس: مطبعة دار الأيتام الإسلامية الصناعية، ص30، ص7، مصطفى بك حمدي القطان، محاضرات قبة الصخرة والمسجد الأقصى، جمعية المهندسين الملكية المصرية، النشرة 18 للسنة الرابعة، 1924م، ص7.
- 16 عبد الناصر الفراء، الجنود التاريخية للقدس وكيفية الحفاظ عليها، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، د.ت، ص216.
- 17 محمد مؤنس أحمد عوض، الرحالة الأوروبيون في ملكة بيت المقدس الصليبية 1099-1187م، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1992م، ص16-17.

- 18 تيسير خلف، برنارد الحكيم من روما إلى القدس زمن الخليفة المعتز، 9 صحيفة العربي الجديد، مارس 2019م، <https://www.alaraby.co.uk>.
- 19 تاريخ الدخول إلى الموقع 2021/12/17م.
- 20 محمد مؤنس أحمد عوض، الرحلة، ص27.
- 21 عزيز سوريال عطية، الحروب الصليبية وتأثيراتها على العلاقات بين الشرق والغرب، ترجمة فليب صابر سيف، القاهرة: دار الثقافة، ص10-11.
- 22 قاسم عبده قاسم، الحملة الصليبية الأولى، ص14.
- 23 راغب السرجاني، قصة الحروب الصليبية "من البداية إلى عهد نور الدين زنكي"، ط2، القاهرة: مؤسسة اقرأ، 2009م، ص55.
- 24 يوشع براور، الاستيطان الصليبي، ص264.
- 25 ابن القلاسي، تاريخ دمشق 360-555هـ، تحقيق: سهيل زكار، ط1، دمشق: دار حسان، 1983م، ص222.
- 26 محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، ط1، القاهرة: عين للدراسات والبحوث، 2000م، ص23.
- 27 محمد أمين حسين، المسجد الأقصى قديماً وحديثاً، فلسطين: دار الإفتاء الفلسطينية، كانون الأول، 2013م، ص3.
- 28 ابن الجوزي، فضائل القدس، ص2.
- 29 عماد الدين الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ط1، القاهرة: المطبعة الخيرية، 1322هـ، ص50.
- 30 أنس زاهر المصري، أثر التكامل السياسي والعرفي في فتح بيت المقدس، مجلة دراسات بيت المقدس، العدد 47/14، صيف 2014م، ص53.
- 31 محمد علي بيود، الكتابة في فضائل بيت المقدس ودورها في الحركة المعرفية وصناعة الوعي في مواجهة الحروب الصليبية، مجلة دراسات بيت المقدس، العدد 1/16، صيف 2016م، ص12.
- 32 عبير أحمد عطا الله المحاسنة، موقف العلماء والأدباء من الصليبيين في العصر الأيوبي، جامعة مؤتة، 2002م، ص64-67.
- 33 السلمي، كتاب الجهاد: أربعة كتب في الجهاد من عصر الحروب الصليبية، تحقيق: سهيل زكار، دمشق: مطبعة التكوين، 2007م، ص48-49.
- 34 السلمي، المصدر السابق، ص66-67، علي الصلابي: دولة السلاجقة ومشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، ط1، القاهرة: مؤسسة اقرأ للنشر، 2006م، ص655-657.
- 35 عصام مصطفى عقلة، يوسف أحمد بني ياسين، كتاب الجهاد للسلمي "دراسة في مصادره ومنهجه ورؤيته للجهاد، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، مجلد 41، العدد 3، 2014م، ص938-939.
- 36 ابن الجوزي، فضائل القدس، ص125-126.
- 37 ابن الأثير، الكامل، ج9، ص20-21.
- 38 ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص274.
- 39 ابن الأثير، الكامل، ج9، ص20-21.
- 40 ابن القلاسي، تاريخ دمشق، ص276-277، عبد الحسن حنون جبرة وآخرون، إسهامات أسرة بني الحشاش في الحياة السياسية في مدينة حلب ما بين القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، ص90.
- 41 ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، وضع حواشيه: خليل المنصور، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1996م، ص253.
- 42 أحمد صدقي الدجاني، الطريق إلى حطين والقدس، ط1، عمان: دار البشير، 1992م، ص32.
- 43 ابن الأثير: الكامل، ص126.
- 44 عبد الحسن حنون جبرة وآخرون، إسهامات أسرة بني الحشاش، ص84.
- 45 أحمد صدقي الدجاني، الطريق إلى حطين، ص9.
- 46 أحمد صدقي الدجاني، الطريق إلى حطين، ص13.
- 47 حسين علي، مدينة ماردين ودورها في مواجهة الصليبيين، مجلة دراسات بيت المقدس، العدد 3/20، ص389-410.
- 48 متين شريف أوغلو، أهمية بيت المقدس في ميدان الصراع بين التوازنات في منطقة "الشرق الأوسط" خلال عهد الأراقة، مجلة دراسات بيت المقدس، العدد 3/20، 2020م، ص475.
- 49 ابن العديم، زبدة الحلب، ص327.
- 50 سهيل زكار، حطين مسيرة التحرير من دمشق إلى القدس، ط1، دمشق: دار حسان، 1984م، ص62-64.
- 51 أبي شامة، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، ط2، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1998م، ج1، ص1، ص101-102، عبير أحمد عطا الله المحاسنة، موقف العلماء، ص82.

- 51 ابن الجوزي، المنتظم في أخبار الملوك والأمم، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ج18، ص48؛ ابن الأثير: الكامل، ص350-352، ابن العربي، تاريخ مختصر الدول، صححه، الأب أنطون صالحاني اليسوعي، بيروت: دار الرائد اللبناني، 1983، ص358-359.
- 52 سهيل زكار، حطين، ص68.
- 53 الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1985م، ص531-532.
- 54 أبي شامة، الروضتين، ص179-180
- 55 سهيل زكار، حطين، ص69-70.
- 56 ابن كثير، البداية، ج8، ص355.
- 57 أبي شامة، الروضتين، ج1ق1، ص241-242.
- 58 ابن الأثير، الكامل، ج10، ص161.
- 59 سهيل زكار، حطين، ص69-70.
- 60 ابن الأثير: الكامل، ج10، ص34-35، ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق، جمال الدين الشيال، حسنين محمد ربيع، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، 1957م، ج1، ص201.
- 61 أبي شامة، الروضتين، ج1، ق2، ص496-497.
- 62 عماد الدين الأصفهاني، الفتح القسي، ص42.
- 63 وفاء محمد علي، قيام الدولة الأيوبية في مصر والشام، ط1، القاهرة: دار الفكر العربي، 1407هـ، ص123-126.
- 64 الأصفهاني، الفتح، ص42-43.
- 65 سيد علي الحريري، الأخبار السنوية في الحروب الصليبية، ط3، القاهرة: الزهراء للنشر، 1985م، ص201.
- 66 ابن الأثير: الكامل، ج10، ص159.
- 67 خالد العويسي، تسليم بيت المقدس للسلطان صلاح الدين الأيوبي سنة 583هـ/1187م هل كان صلحاً أم عنوة وتداعيات ذلك، مجلة دراسات بيت المقدس، العدد 1/21، ص91-110.
- 68 أحمد بن علي الحريري: الإعلام والتبني في خروج الفرنج الملاحين على ديار المسلمين، تحقيق: سهيل زكار، دمشق: دار الملاح، 1981م، ص83، عارف العارف: تاريخ قبة الصخرة والمسجد الأقصى المبارك، ص31.
- 69 أحمد بن علي الحريري، الإعلام والتبني، ص83.
- 70 العماد الأصفهاني: الفتح، ص59.
- 71 العماد الأصفهاني، الفتح، ص53، ابن كثير: البداية، ص450.
- 72 كرم فاروق أحمد عبد الدائم، قراءة في خطبة الفتح الصلاحي لبيت المقدس، مجلة دراسات بيت المقدس، العدد 1/14، صيف 2014م، ص11.
- 73 ابن الأثير، الكامل، ص161.
- 74 جيمس رستون، مقاتلون في سبيل الله، ترجمة: رضوان السيد، ط1، الرياض: مكتبة العبيكان، 2002م، ص144-145.
- 75 الأصفهاني، الفتح، ص51.
- 76 مصطفى بك حمدي القطان، قبة الصخرة والمسجد الأقصى، ص7.
- 77 أحمد بن علي الحريري، الإعلام والتبني، ص83.
- 78 الأصفهاني، الفتح، ص65.
- 79 ابن كثير، البداية، ص452.
- 80 ابن الأثير، الكامل، ج10، ص161، ابن كثير: البداية، ص449.
- 81 ابن كثير: البداية، ص452.
- 82 خالد العويسي، تسليم بيت المقدس، ص105-106.

